صفات الداعية وأخلاقه المستنبطة من قصة الغلام المؤمن

د. دخيل بن عبد الكريم القبلان
تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية

مستخلص البحث

تناول هذا البحث صفات الداعية وأخلاقه المستنبطة من قصة الغلام المؤمن، وذلك بعرض رواية كتب السنة النبوية لقصة الغلام المؤمن، وصفات الداعية المتعلقة بعلاقته بخالقه، وصفاته المتعلقة بتعامله مع المدعوين، وصفات الداعية العقلية والعلمية، وصفات الداعية الذاتية من خلال القصة.

واستخدم الباحث المنهج الاستقرائي الوصفي والمنهج التحليلي الاستنباطي، وخلصت إلى نتائج عدة أبرزها:

١. من صفات الداعية المتعلقة بعلاقته بخالقه من خلال القصة؛ الإخلاص والتجرد لله تعالى، والاتصال الوثيق بالله تعالى، والإيمان العميق بما يدعو إليه.
٢. من صفات الداعية المتعلقة بتعامله مع المدعوين من خلال القصة؛ الإيجابية وحب الآخرين، والشعور بالمسؤولية تجاه المدعوين.
٣. ومن الصفات والمعالم العلمية والعقلية المهمة لكل داعية من خلال القصة؛ الحرص على طلب العلم، والحرص على المرجعية العلمية في حياة الداعية، والتحذير من الازدواجية في التلقي.
٤. ومن الصفات والمعالم العلمية والعقلية المهمة من خلال القصة؛ فقه الداعية بالسنن الإلهية، وأن يكون ذا فقه في حقيقة الدعوة وأساليبها ووسائلها ومراحل تدرجها.
٥. ومن صفات الداعية الذاتية من خلال القصة؛ الحكمة والشجاعة.

وأوصى الباحث الباحثين وأساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا، الرجوع إلى القصص القرآني والنبوي، واستخرج ما فيها من مضامين ثرية ومتنوعة.

الكلمات الافتتاحية: صفات– أخلاق– الداعية– قصة– الغلام– المؤمن.

(ISSN: 2536 - 9555)

The attributes of the preacher and his morals deduced from the story of the believer boy

D. Dakhil bin Abdo AL Kareem Al kablan

Abstract

The attributes of the preacher and his morals deduced from the story of the believer boy

This research dealt with the qualities of the preacher and his morals deduced from the story of the believer boy, by presenting the narration of the books of the Prophetic Sunnah of the story of the believing boy, the characteristics of the preacher related to his relationship with his Creator, his qualities related to his dealings with the invited, the mental and scientific qualities of the preacher, and the qualities of the self preacher through the story.

The researcher used the descriptive inductive method and the deductive analytical method, and came to several results, most notably:

1. Among the attributes of the preacher related to his relationship with his Creator through the story; Sincerity and detachment to God Almighty, close contact with God Almighty, and deep belief in what he calls to.
2. Among the characteristics of the preacher related to his interaction with the invitees through the story; Positivity, love of others, and a sense of responsibility towards those invited.
3. Among the important scientific and mental characteristics and features of each preacher through the story; Being keen on seeking knowledge, being keen on the scientific reference in the life of the preacher, and warning against duplicity in receiving.
4. Among the important scientific and mental characteristics and features through the story; The jurisprudence of the caller according to the divine Sunnahs, and that he has jurisprudence in the reality of the call, its methods, means and stages of its progression.
5. Among the characteristics of the self-proclaimer through the story; Wisdom and courage.

The researcher recommended that researchers, university professors and graduate students refer to the Qur'anic and Prophetic stories, and extract their rich and varied contents.

Opening words: Attributes- morals- preacher- story- boy- believer.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على سيد الأنام، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لقد حوى القرآنُ الكريم وكذلك السنة النبوية المطهرة العديد من القِصص التي تعد نماذج دعوية متكاملة، متى أحسنّا استنباطَ مضامينها، فإنها ستكون منارات وعلامات على طريق الدعوة، وحريٌ بالدعاة الاستبصار والاعتبار بما جاء في القصص القرآني والقصص النبوي، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [يوسف: ١١١].

وهذا الاعتبار لن يتم إلا بتناول ذلك القصص بدراسات تحليلية عميقة لاستنباط مضامينه.

ومن جهةٍ أخرى، فإن للأخلاق أهمية عظمى في الدين الإسلامي، فليست الأخلاق أمرا زائدا عن تعاليم الدين، إنما تُشكل ركيزة أساسية من ركائزه، يدل على ذلك ارتباطها بشكل مباشر بالجزاء الأخروي وبمبدأ الثواب والعقاب، وإن كانت الأخلاق ذات أهمية لعموم المنتمين إلى هذا الدين فإن أهميتها تزداد بالنسبة للدعاة إلى الله، حيث يجب أن يكونوا نماذج جيدة لأخلاق الدين والمكارم التي يدعو إليها، لذا كان لزاما عليهم أن يكون حظهم من التحلي بتلك الأخلاق والمكارم أكبر بكثير من حظوظ غيرهم من عامة المسلمين، لأن القصور فيها عند عامة الناس لا يترتب عليه ذلك الضرر أو الخلل الذي يترتب على القصور في حياة الدعاة والقدوات.

وللدعاة إلى الله تعالى صفات وأخلاق يجب أن يتحلوا بها، منها ما يتعلق بعلاقتهم بخالقهم وبالدين الذي يدعون إليه، ومنها ما يتعلق بتعاملهم مع المدعوين، ومنها ما يتعلق بتأهيلهم علميا وبمدى وعيهم بمنهج الدعوة إلى هذا الدين، ومنها بالطبع صفات ذاتية ينبغي توافرها فيهم، ولهذا كانت التربية مع الإعداد الجيد ضرورة من ضرورات الدعوة، حتى ينشأ جيل من الدعاة مؤهل لحمل الرسالة وأداء الأمانة على أكمل وجه.

(ISSN: 2536 - 9555)

أولًا: **موضوع البحث**:

اختار الباحث أن يكون موضوع بحثه حول صفات الداعية وأخلاقه المستنبطة من قصة الغلام المؤمن، وذلك لما اشتملت عليه من صفات وأخلاق عملية تطبيقية لا نظرية في شخصية الداعية الغلام المؤمن.

ثانيا: **أهمية الموضوع**:

١. يشكل هذا البحث إسهاما معرفيا متواضعا في مجال الدراسات الإسلامية الدعوية لعله يسد فراغا في المكتبة الإسلامية، حيث يُلاحظ فيها قلة الدراسات الدعوية التي تتناول صفات الداعية وأخلاقه من القصص الصحيحة بالتحليل والاستنباط الشامل لمضامينها.
٢. كما يحاول هذا البحث تقديمَ الزاد الأخلاقي الذي تحمله القصة للدعاة إلى الله ليروا من خلالها الصفات والأخلاق العملية للدعاة.
٣. الإسهام في سد فراغ في مكتبة العاملين في حقول الدعوة والتربية، ليُستغنى بقصص الوحي وما فيها من مضامين شاملة عن القصص الموضوع الذي يلجأ إليه من قلّ حظه من العلم، كون القصص الحديثية تمثل الصورة الواقعية والعملية التي ترسم طريق الدعاة وصفاتهم وأخلاقهم.

ثالثا: **أسباب اختيار الموضوع**:

١. اهتمام الباحث بالقصص القرآني والنبوي وسعيه لتوظيفها دعويًا والاستفادة منها في واقعنا المعاصر.
٢. تأثر الباحث بقصة الغلام المؤمن عقديا وإيمانيا وتربويا منذ أن قرأ تفاصيلها في كتب الصحاح والتفاسير.
٣. لما للقصة من مكانة ووقع في النفوس، وأهمية فكرية في التغيير والتوجيه والتربية.

رابعا: **أهداف البحث**:

١. سرد أحداث قصة الغلام المؤمن، من خلال ما ورد منها في السنة النبوية المطهرة، وكتب التاريخ المعتمدة.
٢. استخلاص صفات الداعية وأخلاقه من تفاصيل وأحداث قصة الغلام المؤمن.
٣. بيان صفات الداعية المتعلقة بعلاقته بخالقه من خلال قصة الغلام المؤمن؟
٤. بيان صفات الداعية المتعلقة بتعامله مع المدعوين من خلال قصة الغلام المؤمن؟

٥. بيان صفات الداعية العقلية والعلمية من خلال قصة الغلام المؤمن؟
٦. بيان صفات الداعية الذاتية من خلال قصة الغلام المؤمن؟

خامساً: مشكلة البحث:

الغالب على دعاة العصر الذي نعيشه اليوم ضعف صفات وشروط أخلاق الدعاة فيهم من حيث: العلم بحقيقة ما يدعون اليه، كما تضعف فيهم صفات القدوة والحكمة والإخلاص والمودة، والأسوأ من ذلك ضعف وعيهم بحقيقة ما يدعون إليه، يضاف إلى ذلك أن الغالب عليهم عدم معرفة ثقافة ولغة من يدعونهم إلى الإيمان، والأشد سوءً من هذا كله أن فيهم من لا معرفة لديهم بفقه العبادات والمعاملات.

وعليه؛ فإن هذا البحث يسعى لمعالجة هذه الاختلالات لدى دعاة العصر اليوم، من خلال تقديم أحد أبرز النماذج الدعوية التاريخية، بما تحلى به من صفات وأخلاق الداعية؛ ألا وهو الغلام المؤمن الأنموذج الفريد في شخصية الداعية المنشودة، **حيث يتمحور الموضوع حول التساؤلات الآتية:**

١. ما صفات الداعية المتعلقة بعلاقته بخالقه المستنبطة من قصة الغلام المؤمن؟
٢. ما صفات الداعية المتعلقة بتعامله مع المدعوين المستنبطة من قصة الغلام المؤمن؟
٣. ما صفات الداعية العقلية والعلمية المستنبطة من قصة الغلام المؤمن؟
٤. ما صفات الداعية الذاتية المستنبطة من قصة الغلام المؤمن؟

سادساً: الدراسات السابقة:

تنقسم الدراسات السابقة لهذا البحث على نوعين:

النوع الأول: منها يتعلق بقصة الغلام المؤمن، حيث توجد بعض الكتب الصغيرة جدًا حولها وكذلك بعض المقالات، وليس فيها تخصيص أو تفصيل لمثل موضوع بحثي هذا مطلقًا.

النوع الثاني: منها يتعلق بموضوع صفات الداعية وأخلاقه، والأبحاث والكتب في عموم هذا الموضوع كثيرة، لكن ليس في أيئس منها مطلقًا أي إشارة لقصة الغلام المؤمن واستنباط صفات الداعية وأخلاقه منها.

(ISSN: 2536 - 9555)

وعليه؛ فإن بحثي جديدٌ في ربطه بالقصة، ولا توجد أي دراسة سابقة تلغي أهميته وقيمته العلمية.

سابعاً: منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الوصفي (النظري)، من خلال استعراض أحداث القصة من مصادرها الصحيحة، وذلك بتتبع وحصر كافة الجزئيات والوقائع المتعلقة بجزئية البحث، وفحصها ودراستها ثم إعطاء حكم عام بصددها.

ثم المنهج التحليلي الاستنباطي، وطبقت هذا المنهج في بحثي من خلال تحليل مضمون قصة الغلام المؤمن من مصادرها الصحيحة، وتفسير محتواها، واستنباط واستخراج ما أمكن من المضامين والمفاهيم والأحكام والدروس التي احتوت عليها.

ثامناً: تقسيمات البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة مع ملخص للبحث باللغة العربية والإنجليزية وفهرس المحتويات.

مستخلص البحث وترجمته.

المقدمة.

المبحث الأول: رواية كتب السنة النبوية لقصة الغلام المؤمن.

المبحث الثاني: صفات الداعية المتعلقة بعلاقته بخالقه المستنبطة من قصة الغلام المؤمن.

المبحث الثالث: صفات الداعية المتعلقة بتعامله مع المدعوين المستنبطة من قصة الغلام المؤمن.

المبحث الرابع: صفات الداعية العقلية والعلمية المستنبطة من قصة الغلام المؤمن.

المبحث الخامس: صفات الداعية الذاتية المستنبطة من قصة الغلام المؤمن.

الخاتمة:

- أبرز نتائج البحث.
- التوصيات.
- فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول
رواية كتب السنة النبوية لقصة الغلام المؤمن

والأساس الذي عليه هذه الدراسة هو رواية القصة من السنة النبوية، حيث إن القرآن الكريم لم يأتِ بتفاصيل القصة كما في السنة النبوية، وقد جاءت القصة في كتب الحديث بروايات وألفاظ متقاربة، تكاد تتفق، ولم تختلف إلا في مواضع قلية من زيادة أو نقصان ليست ذا أثر على مجمل أحداث القصة- كما سيأتي-، هذا وقد جاءت الروايات كلها متفقة في آخر السند، عن ثابت البناني[1]، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى[2]، عن صهيب[3] رضي الله عنه.

والقصة صحيحة لورودها في الصحيح، فرواها مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ

---

[1] ثابت بن أسلم أبو محمد البناني، (ت: ١٢٣هـ) الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، ولد: في خلافة معاوية. كان صواما قواما لا يفارق القرآن، وقال حماد بن زيد: رأيت ثابتا يبكي حتى تختلف أضلاعه. يُنظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، للجوزي، (٢/ ١٥٤)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥/ ٢٢٠).

[2] اسمه: يسار بن بلال بن بليل، (ت: ٨٣هـ)، ويكنى عبد الرحمن أبا عيسى، الإمام، العلامة، الحافظ، الكوفي، الفقيه، كان من أكابر تابعي الكوفة، روى عن علي وعبد الله وأبي بن كعب وغيرهم، قال محمد بن سيرين: جلست إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأصحابه يعظمونه، كأنه أمير. يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (١٦٦/٦).

[3] صهيب بن سنان بن مالك بن عبد بن عمرو بن عقيل، (ت: ٣٨هـ)، سبته الروم من الموصل صغيرا، كناه رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: أبا يحيى، هو من السابقين المهاجرين، افتدى نفسه من المشركين بماله، فنزلت فيه ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾[البقرة: ٢٠٧]، شهد بدرا، كان رجلا شديد الحمرة، كثير شعر الرأس يخضب بالحناء، مطعاما، توفي بالمدينة فدفن بالبقيع، وهو ابن سبعين. يُنظر: أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، (١٤٩٦/٣).

(ISSN: 2536 - 9555)

أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ[٤]، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ[٥]، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ

---

[٤] هو المنشار، يُنظر: المبارك بن محمد بن محمد الجزري، مجد الدين ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر أحمد الزاوى– محمود محمد الطناحي، ط١، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م، المكتبة العلمية– بيروت، (٥١/١).

[٥] هي السفينة العظيمة، وجمعها: قراقير. السابق: (٤٨/٤).

ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ[٦]، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ[٧] أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقّ][٨].

ورواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه[٩]، والترمذي بزيادة في أوله، عن صهيب: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ هَمَسَ، وَالْهَمْسُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ فَقِيلَ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ إِذَا صَلَّيْتَ الْعَصْرَ هَمَسْتَ؟ فَقَالَ: [إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أُعْجِبَ بِأُمَّتِهِ، فَقَالَ: مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ؟ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ خَيِّرْهُمْ بَيْنَ أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُمْ، أَوْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، فَاخْتَارُوا النِّقْمَةَ فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا] قَالَ: وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ حَدَّثَ بِهَذَا الْآخَرَ قَالَ: [وَكَانَ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَكَانَ لِذَلِكَ الْمَلِكِ كَاهِنٌ يَتَكَهَّنُ لَهُ فَقَالَ ذَلِكَ الْكَاهِنُ: انْظُرُوا لِي غُلَامًا فَطِنًا أَوْ قَالَ: أَوْ قَالَ: لَقِنًا أُعَلِّمُهُ عِلْمِي هَذَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ فَيَنْقَطِعَ مِنْكُمْ هَذَا الْعِلْمُ، وَلَا يَكُونَ فِيكُمْ مَنْ يَعْلَمُهُ .... إلى آخر القصة.

---

[٦] الصُدْغُ: ما بين العين والأذن. الجوهري: الصحاح، (١٣٢٣/٤).

[٧] تقاعست: تأخرت. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤/ ٨٧).

[٨] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، حديث رقم (٣٠٠٥)، (٢٢٩٩/٤، ٢٣٠٠)، ورواه أحمد في مسنده، ت: شعيب الأرنؤوط، ط١، ١٤٢١هـ،٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، حديث صهيب، رقم (٢٣٩٣١)، (٣٩/ ٣٥١-٣٥٣).

[٩] عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني: المصنف، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، ١٤٠٣هـ، المجلس العلمي– الهند، كتاب المغازي، باب حديث أصحاب الأخدود، حديث رقم (٩٧٥١)، (٥/ ٤٢٠، ٤٢١).

(ISSN: 2536 - 9555)

وفي رواية الترمذي أن الدابة كانت أسدا، وفيها أن الناس فزعوا بعد أن قتل الغلام الدابة وقالوا: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الغُلَامُ عِلْمًا لَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ، كما لم يرد في الرواية أن الأعمى كان جليسًا للملك، وفي آخرها: قَالَ: فَأَمَّا الغُلَامُ فَإِنَّهُ دُفِنَ، قَالَ: فَيُذْكَرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَإِصْبَعُهُ عَلَى صُدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب[١٠].

وفي السنن الكبرى: (فَأَتَى الْغُلَامُ الرَّاهِبَ، فَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ نَحْوُهُ وَكَلَامُهُ) وفيه عن المرأة: (فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا تُرْضِعُهُ، فَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِي النِّيرَانِ)[١١].

ورواه ابن حبان في صحيحه[١٢]، والطبراني في المعجم الكبير[١٣]، وأبو بكر البيهقي في شعب الإيمان[١٤].

ويُلاحظ في الحديث النبوي– برواياته– أنه توسع قليلا في ذكر أحداث القصة بخلاف العرض القرآني الذي اقتصر على ذكر حادث الأخدود دون التعرض لتفاصيل قصته، ولعل السبب في ذلك هو أن النبي– صلى الله عليه وسلم– قصّ علينا أنموذجا من نماذج حادثة الأخدود التي أشار إليها القرآن الكريم بشكل عام

---

[١٠] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى: سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، ط٢، ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م، مكتبة مصطفى الباب الحلبي، أبواب التفاسير، سورة البروج، حديث رقم (٣٣٤٠)، (٥/ ٤٣٦، ٤٣٧). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٢٤٥٩)، (٥/ ٥٨٩).

[١١] أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي: السنن الكبرى، ت: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة– بيروت، باب قوله تعالى: قُتل أصحاب الأخدود، حديث رقم (١١٥٩٧)، (١٠/ ٣٢٩).

[١٢] محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي: صحيح ابن حبان، ت: شعيب الأرنؤوط، ط٢، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م، دار الرسالة، باب الأدعية، حديث رقم (٨٧٣)، (٣/ ١٥٤).

[١٣] سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني: المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية– القاهرة، (٤١/٨).

[١٤] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي: شعب الإيمان، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد– الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م، باب شحّ المرء بدينه حتى يكون القذف في النار أحب إليه من الكفر، حديث رقم (١٥١٨)، (٣/ ١٧٤).

في سورة البروج، إلا أن هذا التوسع لم يخرج شيء منه- بحسب اعتقاد الباحث- عن مجال العظة والعبرة، فلم يذكر الحديث من تفاصيل الأحداث وتسلسلها إلا ما كان ذا فائدة وعبرة، كما لم تتعرض الرواية الحديثية لأسماء الأماكن والأشخاص وكذا تاريخ حدوث القصة- كما سيأتي في الروايات التاريخية-، وهذا من أهم خصائص القصة القرآنية والقصة النبوية وبها تتميز عن القصة التاريخية وعن القصة الأدبية، وعن القصة الفنية بأنواعها.

المبحث الثاني
صفات الداعية المتعلقة بعلاقته بخالقه المستنبطة من قصة الغلام المؤمن

ينبغي على الدعاة إلى الله أن يعلموا أن الخطبة البليغة المعجبة، والكتاب المبين الذكي، والجماهير العاشقة المتعصبة لا تساوي كلها قشرة نواة إذا كانت علاقة المرء بربه واهية[١٥]، ومن صفات الداعية المتعلقة بخالقه من خلال القصة ما يأتي:

أولا: الإخلاص والتجرد لله تعالى:

أولى الصفات التي ينبغي أن تتوفر في الداعية وأهمها الإخلاص والتجرد لله تعالى، بأن تكون دعوته خالصة لوجه الله تعالى، لا يبتغي بها أجرا من أحد، ولا يسعى من خلالها إلى نيل مكانة ومنزلة بين الناس، قال تعالى: ﴿**قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [سبأ:٤٧]، فهذه سبيل رسل الله تعالى أجمعين، وعلى الدعاة أن يتبعوا سبيلهم.

وإذا كان الإخلاص من أكثر الأمور طلبًا في التعبد لله تعالى إذ لا تستقيم العبادة إلا به حيث إنه مناط التكليف؛ فإنه بالنسبة للدعاة أشد الواجبات والضرورات، لأن مهمتهم هي الأعظم، إذ هم ورثة الأنبياء ورموز الإصلاح وقدوات المجتمع، وبدون الإخلاص والتجرد لله منهم، فإن الضرر كبير عليهم وعلى الدعوة.

ويكون تجرد الداعية لله سبحانه بأن يُعرض عن الدنيا بما فيها "ولا يتطلع إلا الى ما عند الله سبحانه من الأجر والمثوبة، ويرى كل ما عند الناس زهيدا هينا

[١٥] محمد الغزالي: مع الله، (١٧٥) بتصرف يسير.

(ISSN: 2536 - 9555)

هزيلا لا يستحق الاهتمام، ولا يلتفت إليه ولا يتعلق به، وإنه من الغبن الفاحش والخسارة الفادحة أن يرضاه الداعية بديلا لما عند الله سبحانه"[١٦] .

إن التجرد لله تعالى والزهد عما في أيدي الناس يخبر العامة أن دين الله عز وجل متاح للجميع اعتناقه والاهتداء به، ولا يحتاج إلى رسوم يبذلها الأغنياء ويعجز عنها الفقراء فيحجب عنهم ويكون حكرا للأغنياء القادرين فقط[١٧]. كما إن كثيرا من جاذبية الدعوة إنما تنبع من اعتقاد المدعوين أن ما يُدعون إليه لا يعود بالفائدة إلا عليهم، فهي دعوة لإنقاذهم من النار، ولإصلاح معاشهم في الدنيا، وإذا تحقق ذلك فإن نظرتهم إلى الدعاة ستكون نظرة احترام وتقدير وإكبار حيث يضحون بأوقاتهم وراحتهم من أجل الآخرين. وقد كان من سنة الأنبياء عليهم السلام الإعلان لقومهم أنهم لا يبتغون من وراء دعوتهم منفعة خاصة على أية صورة من الصور حتى يسدوا الطريق من أوله على المرجفين والمروجين للدعاية المضادة، وكان الشعار دائما: ﴿**وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا علي رب العالمين**﴾ [الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠].

وحين تباطأ أهل مكة بالإيمان فنّد القران الكريم شبهاتهم ومزاعمهم، وكان منه: ﴿**أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ**﴾ [الطور: ٤٠]، فأخذ الأجرة على الهداية والخير والصلاح أمرٌ ثقيل على الناس، وصادٌ لهم عن الاستجابة لها.

إن إخلاص الداعية وتجرده لله تعالى هما سلاحه في مواجهة أصحاب الباطل الذين يبذلون كل ما يقدرون عليه من أجل حمل الدعاة على الكف عن دعوتهم، تارة باستمالتهم بإغرائهم بالجاه والمال والسلطة، وتارة بالبطش والتنكيل بهم، وبمقدار حظ الداعية من الإخلاص والتجرد لله تعالى يكون قوة موقفه في مواجهة ترغيب أصحاب الباطل وترهيبهم، فإذا كان حظه من الإخلاص والتجرد ليس في المستوى المطلوب صار عرضة للميل لأهل الباطل والرضوخ لإغراءاتهم، والخوف من بطشهم، وفي هذا أشد الضرر على الدعوة، وسبب في صد الناس عنها.

---

[١٦] عبد الوهاب الديلمي: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، (١/ ٧٧٣، ٧٧٤) .

[١٧] يُنظر: عبد الوهاب الديلمي: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، (١/ ٧٧٤).

وإذا كان من الصعوبة قياس الإخلاص لأنه عمل قلبي محض، إلا أنه يمكن مشاهدة أثاره في المواقف والسلوك، وبناء عليه يمكن استنباط قيمتي الإخلاص والتجرد لله تعالى **في القصة** من خلال المواقف والشواهد الآتية:

١/ قول الراهب للغلام: (أي بني إنك اليوم أفضل مني)، هذا المربي الداعية لم يستنكف أن يعترف بالأفضلية للغلام الذي رباه هو وعرّفه بالطريق إلى الله، بل قالها للغلام بعبارة مصحوبة بالتودد والتلطف باستعماله لفظ أي بني، وأداة النداء **(أي)** الموحية بالقرب المكاني والمعنوي على حد سواء.

يُظهِر هذا الموقف مدى تمكّن الإخلاص من قلب الراهب وتجرده من حظوظ النفس، وتخلصه من حب التميز الخفي الذي قد يصيب بعض العاملين في مجال الدعوة، فلم يكن الراهب مصابا بهذا الداء بل كان لديه الوعي الكامل بأنه مجرد نقطة على طريق الدعوة الطويل، وأن ذلك لا يمنع تفوق أحد أتباعه عليه، وهو ذاته لا يكره أن يتميز أحدهم عليه، بل يدرك أن في هذا التميز نفعًا عظيمًا وخيرًا كثيرًا يصب في مصلحة الدعوة التي هي كل همه، وهي أعظم من الأشخاص.

وفي هذا الموقف دليل على أن التلميذ قد يفوق أستاذه وإن كان أستاذه قد سبقه في العلم والعمل، وذاك من فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا حجر لرحمته الواسعة، ويكفي الأستاذ أنه هو الذي دلّ تلميذه على طريق الخير، فيصير تفوق التلميذ في حقيقته تفوقا لأستاذه، وفيه اعتراف العالم بالفضل لمن هو أفضل منه وإن كان قد سبقه في الإسلام والعلم والعمل[١٨].

٢/ موقف الغلام مع جليس الملك: وفيه تبرز قيمة الإخلاص والتجرد لله تعالى في رفض الغلام لمنحة جليس الملك، وزهده عنها، حتى إن الغلام لم يكترث بعرض الجليس ولم يرد عليه ولم يوله اهتماما، بل تجاهله تماما وكان رده **(ما أشفي أنا أحدا، إنما يشفي الله)**[١٩]، فلم تشكل هذه المنحة أهمية للغلام حتى يرد عليها، وفي هذا تجسيم لمبدأ التجرد لله تعالى في الدعوة، وعدم ابتغاء

---

[١٨] يُنظر: سعيد عبد العظيم، قصص القرآن عظات وعبر، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، دار العقيدة للتراث-الاسكندرية، القاهرة، (٤٤٣).

[١٩] هكذا في معظم روايات الحديث، وفي الترمذي أنه قال: (لا أريد منك هذا)، وكذا عند الطبراني. يُنظر المبحث الثالث من الفصل الأول.

(ISSN: 2536 - 9555)

أجر من أحد من البشر والزهد عما في أيدي الناس، مما يمنح الدعوة قيمة عظيمة في النفوس كونها مجردة عن المصالح والمنافع الدنيوية، هذه القيمة العظمى هي التي جعلت الجليس فيما بعد يضحي بمكانته عند الملك ويواجهه بإيمانه بالله ربا واحدا، ويثبت على إيمانه حتى الموت.

٣/ ومن تقديم مصلحة الدعوة وعدم الخلط بينها وبين مصلحية الداعية– أو ما يظهر أنه مصلحته– والذي يُعد أحد مظاهر الإخلاص ونتائجه نرى ثبات الراهب واختياره للقتل على أن يرجع عن دينه، وهو الذي قال للغلام سابقا: **(فإن ابتليت فلا تدل عليّ)**، فمقالته هذه لم تكن خوفا على نفسه من البطش والقتل، بل كانت مراعاة لمصلحة الدعوة وخوفا عليها من الضياع باستئصال الدعاة إليها، أما وقد وقع بين يدي الملك فإن مصلحة الدعوة حينها تقتضي الثبات وعدم الرضوخ، لا سيما وأن الدعوة قد انتشرت بين الناس بفعل الغلام، وبالتالي لم يُبح الراهب لنفسه أن يداهن الملك ليحمي نفسه من القتل، لأن هذا لو حدث لسبّب للدعوة أذى كبيرا، ولأذهب بقيمتها في نفوس الناس الذين عرفوها عن طريق الغلام.

ومثله فعل تلميذه الغلام، فقد آثر مصلحة الدعوة على مصلحة نفسه، فلم يرضخ لاستمالة الملك له بداية، ثم لم يحاول الفرار والنجاة بنفسه من بطش الملك حين أُتيحت له الفرصة، وما ذلك إلا لكمال إخلاصه وتجرده لله تعالى.

ولو رضخ الغلام لاستمالة الملك– بالتخلي عن دعوته ونسبة الكرامات التي حدثت له للسحر الذي تعلمه بأمر من الملك– لحظي بمنزلة رفيعة لدى الملك، ولنال الكثير من الأموال والميزات الاجتماعية التي ينالها بطانة الطغاة، وفي الوقت ذاته كانت ستسقط مكانة الدعوة في نفوس الناس، بعد أن بيعت بعرض رخيص من أعراض الدنيا، لكن رد الغلام جاء حاسما في رفض تلك الاستمالة والإصرار على إيمانه بالله تعالى، وبهذا كان الغلام متجردا من حظوظ نفسه مخلصا لله تعالى في دعوته. كما أن فراره من القتل كان سيُطفئ نور الدعوة بين الناس، وكانوا سيستسلمون للملك، ويتخلون عن دينهم أو يخفونه على أقل تقدير؛ لكن الغلام بقوة إخلاصه وتجرده لله تعالى لم يقع في شيء من ذلك، بل قد بلغ من إخلاصه لله تعالى أن دلّ الملك على الطريقة التي سيتمكن بها من قتله، واشترط لذلك أن يكون القتل أمام جموع الناس لتحقيق مصلحة الدعوة والمدعوين–

بدخولهم في دين الله وثباتهم عليه اقتداء بفعل الغلام، ونجاتهم من نار جهنم-، وقد حدث ذلك بالفعل ببركة إخلاص الغلام وقبله إخلاص مربيه الراهب.

ثانيا: الاتصال الوثيق بالله تعالى، والإيمان العميق بما يدعو إليه:

ويُقصد بالاتصال الوثيق بالله تعالى: "تعلق الداعي المسلم بربه وتوكله عليه في جميع أموره صغيرها وكبيرها لتيقنه بأن الله تعالى هو وحده المنفرد بالخلق والتدبير والتصريف والضر والنفع والأخذ والعطاء، وأنه ما شاء الله أن يحدث ويصير كان وصار، وما لم يشأ أن يحدث ويصير لم يكن مطلقًا، وأن الله تعالى يكفي من يتوكل عليه ويفوض الأمور إليه وحده: ﴿**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: ٣].

والصلة بالله تعالى هي الدعامة الأولى في أخلاق الدعاة، إذ لا يُتصور أن تدعو الناس إلى شيء صلتك به واهية، أو معرفتك به قليلة[٢٠].

إن طريق الدعوة شاق وطويل، والداعي فيه أحوج ما يكون إلى زاد يعينه على الاستمرار فيه وتحمل مشاقه، ولا زاد في طريق الدعوة إلا الاتصال الوثيق بالله عز وجل، واستمداد العون منه للمضي في الطريق إلى أن يلقاه. وباتصال الداعية بالله ﷻ "تهون عليه الصعاب وتخف الآلام، وتنتزع من قلبه الخشية من الناس، وحق على الدعاة ـ بهذا الاتصال الوثيق بربهم ـ "ألا يهنوا في الحياة وألا يهونوا، وألا يعدلوا بنسبتهم إلى الله شيئا، وأن ينظروا إلى الحياة على أنهم أكبر منها"[٢١].

ومن مظاهر الاتصال الوثيق بالله عز وجل من خلال القصة: التوكل على الله تعالى، واللجوء إليه في الملمات، والثقة به- عز وجل- أنه يحفظ المؤمنين وينصرهم ويدافع عنهم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحج: ٣٨]، وهذا ما كان عليه أمر الغلام فقد كان متوكلا على الله تعالى، ملتجئا إليه، واثقا بنصره وتأييده، يظهر ذلك من خلال ثباته في مواجهة الملك وعدم تزعزع موقفه أمامه، ولجوئه إلى الله تعالى عندما أرسله الملك مع نفر من جنوده لقتله، وكان دعاؤه لله- عز وجل- في ذروة الجبل وفي لجة البحر: **(اللهم اكفنيهم بما شئت)**، فاستجاب الله تعالى له ونجاه منهم بقوة توكله على الله وثقته به- تعالى-، وهنا تنبيهان:

---

[٢٠] يُنظر: محمد الغزالي، مع الله، (١٤٩).

[٢١] المرجع السابق، (١٥٠).

(ISSN: 2536 - 9555)

الأول: أن الأخذ بالحذر وأسباب الحيطة واليقظة والتحرز لا يعني عدم الثقة بالله، ولا ينافي التوكل عليه، لأن الحذر من الأسباب ومباشرة الأسباب لا تنافي التوكل، ولكن لا يجوز أبدا الاطمئنان والركون إليها والتعلق بها، لأن الاسباب والمسببات بيد الله وحده، وهذا يفسر موقف الراهب في طلبه من الغلام بألا يدل عليه **(فإن ابتليت فلا تدل علي)** فلم يكن الراهب ضعيف التوكل والاعتماد على الله تعالى، بل لقد كان يمارس الأسباب التي هي من صميم التوكل، فالتوكل يقتضي مباشرة الأسباب مع التعلق برب الأسباب، بينما ترك الأسباب يُعد من التواكل المذموم شرعا.

والثاني: لا يجوز للداعي أن يحدد لله تعالى نوعا معينا أو كيفية محددة لنصره على أعدائه، بل يكِل أمر ذلك كله لله عز وجل. وهذا ما يُلمح في دعاء الغلام **(اللهم اكفنيهم بما شئت)** فلم يحدد الغلام في دعائه كيفية معينة للنجاة من الجنود، بل ترك الأمر لمشيئة الله عز وجل، فأهلكهم الله تعالى ونجّاه.

المبحث الثالث
صفات الداعية المتعلقة بتعامله مع المدعوين المستنبطة من قصة الغلام المؤمن

إن تعامل الداعية مع الناس على جانب كبير من الأهمية في إنجاح الدعوة، ويمكن القول "إن نصف شروط نجاح الداعية متوقف على الآخرين، فمهما توفرت شروط النجاح لدينا فإن ذلك لا يعني على الصعيد العملي شيئا ما لم تحدث استجابة لدى الذي يشكلون حقل الدعوة، ومن ثم فإن الداعية الحق يلازمه شعور قوي بالحاجة إلى الآخرين، في تحقيق أهداف الدعوة في الحاضر، وإلا فإن نجاح الداعية عند الله إنما يكون بالتبليغ على الوجه الذي يرضاه سبحانه، قال تعالى: ﴿**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾ [المائدة: ٩٩].

ومن الصفات والأخلاق التي يجب على الداعية تمثلها في تعامله مع الآخرين، من خلال قصة الغلام المؤمن ما يأتي:

أولا: الإيجابية وحب الآخرين:

من ضروريات الدعوة إلى الله مخالطة الناس والانخراط في المجتمع، ومن هنا وجب على الداعي أن يكون حسن التعامل مع الآخرين، وأن يكون عضوا فعّالا

في المجتمع، يتحرك بإيجابية لنفع الآخرين وقضاء حوائجهم، وأن يكون له موقف إيجابي من كل حدث، فلا يقف موقف المتفرج منها.

فالشخص الإيجابي الذي يسعى لنفع الآخرين يكون محط تقديرهم وإعجابهم، كما أن في ذلك تجسيدا لتعاليم الدين التي ترفع من قيم الإيجابية وتقديم الخير للآخرين والسير في حاجاتهم، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة:٢]، أي: ليُعن بعضكم بعضا على البر. وهو: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين"[٢٢].

وقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: [**أحبُّ الناسِ إلى الله أنفعُهم للناس وأحبُّ الأعمالِ إلى الله سُرُورٌ تُدْخِلُه على مسلم، أو تَكْشِفُ عنه كُرْبَةً، أو تَقْضِى عنه دَيْنًا، أو تَطْرُدُ عنه جُوعًا، ولأَنْ أمشىَ مع أخي المسلمِ في حاجةٍ أحبُّ إِلَىَّ من أن أعتكفَ في هذا المسجدِ شهرًا، ومن كفَّ غضبَه سترَ اللهُ عورتَه ومن كَظَمَ غَيْظَه ولو شاء أن يُمْضِيَه أَمْضاه ملأ اللهُ قلبَه رِضًا يومَ القيامةِ، ومن مشى مع أخيه المسلمِ في حاجةٍ حتى تتهيأَ له أثبتَ اللهُ قدمَه يومَ تَزِلُّ الأقدامُ، وإنَّ سُوءَ الخُلُق لَيُفْسِد العملَ كما يُفْسِدُ الخلُّ العسلَ**][٢٣].

وفي القصة جسَّد الغلام دور الداعي المنخرط في مجتمعه، الذي يسخّر ما لديه من قدرات وإمكانات لنفع الناس وجلب الخير لهم، وهو الذي أجرى الله على يديه كرامة إبراء الأكمه والأبرص وسائر الأدواء، فاستخدمها في منفعة الناس، وجعلها وسيلة له في دعوة الناس إلى الله تعالى، دون انتظار أي مقابل مادي منهم، حتى اشتهر بين الناس وأحبوه لما يسديه لهم من منافع عظيمة.

كما يجسد موقف الدابة إيجابية الغلام وسرعة بديهته في التعامل مع الأحداث الطارئة، فلم يقف موقف السلبي المتفرج الذي ينتظر الحلول من الآخرين، بل كان هو المبادر لمحاولة إزالة ذلك الضرر عن الناس بما يستطيع، ولم يستحقر نفسه وقدراته بل أقدم على قتل الدابة بحجر صغير هو كل ما يستطيع فعله، وهذا هو الواجب على المسلم والداعية- بوجه أخص- من الحرص على جلب الخير للآخرين ودفع الشرور والمهالك عنهم.

---

[٢٢] السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٢١٨).

[٢٣] المعجم الكبير للطبراني، باب: عمرو بن دينار عن ابن عمر، حديث رقم (١٣٦٤٦)، (٤٥٣/١٢)، وابن أبى الدنيا في كتاب قضاء الحوائج، رقم (٣٦)، ص (٤٧). والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٩٠٦)، (٥٧٤/٢، ٥٧٥).

(ISSN: 2536 - 9555)

وفي هذا الموقف درس للداعية هو أنه ليس بحاجة إلى قدرات خارقة ليتمكن من نفع الآخرين، بل إن عليه أن يسعى لنفعهم بالإمكانات والقدرات المتوفرة لديه مهما كانت هيّنة في نظره، فإن الله تعالى يبارك في الجهد القليل إذا صاحبه الإخلاص والنية الحسنة.

ثانيا: الشعور بالمسؤولية تجاه المدعوين:

إن المهمة التي حملها الدعاة على أعتاقهم هي أعظم المهام وأشرفها، وعلى قدر منزلة المهمة يكون قدر المسؤولية المنوطة بصاحبها. فعلى الدعاة استشعار عظم المسؤولية الملقاة عليهم إذ يحملون مسؤولية إيصال هدي الله تعالى إلى الناس وتعريفهم بالدين الحق على أكمل وجه، "والداعية متى ما استشعر مسؤوليته وواجبه المنوط به نحو عباد الله، والأمانة التي تحملها لهدايتهم وإرشادهم كان ذلك دافعا للقيام بواجبه وأداء رسالته، أما إذا لم يستشعر مسؤوليته وواجبه فإنه لن يتحرك ويعمل كما ينبغي وكما هو مطلوب"[٢٤]، ولذا فإن من الأمور المهمة التي يجب عدم إغفالها لدى القائمين بأمر الدعوة تربية الدعاة على الشعور بالمسؤولية تجاه الدعوة والعمل الدؤوب للقيام بواجبهم في تعريف الناس بالمفاهيم الصحيحة لهذا الدين وتصحيح التصورات المغلوطة التي ملأت أذهان الناس عن طبيعة هذا الدين وعلاقته بالحياة بمختلف ميادينها، ومن معالم استشعار الداعية المسؤولية من خلال القصة:

الأخذ بالعزيمة وترك الرخص– ما أمكن–[٢٥]:

إن الداعية مسؤول عن إيصال هدي الله إلى الناس بصورته الأكمل، كما أنه مسؤول عن الرقي بمجتمعه إلى أعلى درجات الخير، وهو محط أنظار الناس

---

[٢٤] أحمد بن نافع الورعي: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م، دار الأندلس الخضراء– جدة، (٦٦).

[٢٥] ويقصد بالعزيمة: "ما شُرع من الأحكام الكلية ابتداء، ومعنى كونها كلية أنها لا تختص ببعض المكلفين من حيث هم مكلفون دون بعض، ولا ببعض الأحوال دون بعض"، أما الرخصة "فما شرع لعذر شاق استثناء من أصل كلي يقتضي المنع، مع الاقتصار على مواضع الحاجة فيه "إبراهيم بن موسى الشاطبي: الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط٧، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م، دار ابن عفان، (٤٦٤/١، ٤٦٦). وقال عبد الوهاب خلاف: "الرخصة هي ما شرعه الله من الأحكام تخفيفا على المكلف في حالات خاصة تقتضي هذا التخفيف، أو هي ما شرع لعذر شاق في حالات خاصة، أو هي استباحة المحظور بدليل مع قيام دليل الحظر". عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، ط٨، دار القلم– دمشق، (١٢١).

وقدوة لهم، ومن هنا فإنه يُطالب بما لا يُطالب به غيره من الأخذ بالعزائم والبعد عن الرخص ومواضع الخلاف ما أمكن.

ومن الأخذ بالعزيمة في القصة: إصرار الراهب على الإيمان مع ما هُدد به من القتلة البشعة حتى قُتل بها، ولم يأخذ الداعية بالرخصة في إظهار الكفر للنجاة من هذه القتلة البشعة مع اطمئنان قلبه بالإيمان.

وقد يُقال هنا بأن الإكراه عذر يخص أهل الإسلام فقط، فلا ينطبق على الراهب وصْفُ الأخذ بالعزيمة إذ لا مندوحة له من الثبات، ولكن الحديث هنا غير مختص بالرهب، بل عام في الدعاة إلى الله جميعا، فعلى مدار التاريخ الإسلامي تجد أن رؤوس العلماء والدعاة لا يأخذون بهذه الرخصة لأن أخذهم بها يعني خذلان الحق والتسبب في ضياع الأتباع[٢٦].

كما أن القرآن الكريم قد قصّ علينا أخبار المؤمنين السابقين وثباتهم أمام ما لاقوه من المحن الشديدة، "وفي ذكر هذه الأنباء دلالة أن قول الرسول- عليه السلام- لعمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **[إن عادوا فَعُدْ]**[٢٧]- حين أُكره على إجراء كلمة الكفر على لسانه، فأجرى وقلبه مطمئن بالإيمان- ليس على الأمر به والإيجاب عليه، والتحصيل بطريق العزم؛ بل معناه: إن عادوا فلك العود؛ على سبيل الرخصة؛ لأنه لو كان على الأمر، لم يكن في ذكر نبأ أصحاب الأخدود وسحرة فرعون فائدة، سوى أن يُترك العمل بهما، ومعلوم أن تلك الأنباء إنما ذكرت؛ ليعمل بها لا ليترك بها العمل؛ لذلك حمل قوله: **[فَعُدْ]** على الرخصة، لا على الأمر به"[٢٨].

كما أن الداعية رأس في الناس يقتدون به، وأخذه بالرخصة يعني افتتان بقية الأتباع، وضياعهم، وخذلان الحق بسببه[٢٩].

---

[٢٦] يُنظر: محمود العشري: قصة أصحاب الأخدود (٣) من سلسلة مقالات على شبكة الألوكة، ٢٠١١/١١/٣٠م، www.alukah.net .

[٢٧] رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب: تفسير سورة النحل، حديث رقم (٣٣٦٢)، (٣٨٩/٢)، وفي السنن الكبرى للبيهقي، باب: المكره على الردة، (٣٦٢/٨) رقم (١٦٨٩٦). قال الحاكم في مستدركه: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

[٢٨] الماتريدي: تأويلات أهل السنة، (١٠/ ٤٨١).

[٢٩] ينظر: محمود العشري: قصة أصحاب الأخدود (٣).

(ISSN: 2536 - 9555)

ولنا أن نتخيل ماذا لو أن الراهب أخذ بالرخصة وتظاهر بالكفر للنجاة من تلك القتلة البشعة، ربما كان ذلك يؤدي إلى فتنة الجليس والغلام الذي كان يُمثل لهم قدوة، ثم فتنة بقية الأتباع الذين آمنوا عن طريق الغلام، وبهذا كان سيضيع الدين ويعود الناس كفارا بعد إيمانهم.

وما قيل عن الراهب هنا يُقال أيضا عن الغلام في مواجهته للملك، وعدم فراره منه مع تمكنه من ذلك بعد محاولتي القتل التي قام بها جنود الملك.

المبحث الرابع
صفات الداعية العقلية والعلمية المستنبطة من قصة الغلام المؤمن

سبق الحديث عن صلة الداعي بالله تعالى وأخلاقه في التعامل مع المدعوين، ولكن ذلك كله لن يؤتي ثماره ما لم تكن حركة الداعي عن علم وبصيرة، وما لم تكن لديه القدرة على توجيه الدفة لصالح الدعوة، مما يتطلب امتلاك الداعي مؤهلات علمية وعقلية تمكنه من المضي في طريق الدعوة بخطوات مدروسة وبوعي وإدراك تامّين، فالعلم قبل الإيمان وقبل العمل، قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [محمد: ١٩].

وسبيل الرسول– صلى الله عليه وسلم– كان الدعوة إلى الله على علم وبصيرة، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة: "العلم والبيان والحجة النيرة؛ أي هذه سبيلي التي أنا أدعوكم إليها؛ إنما أدعوكم على بصيرة؛ أي على علم وبيان وحجة قاطعة؛ وبرهان نير؛ ليس كسائر الأديان التي يدعى إليها على الهوى والشهوة بغير حجة ولا برهان؛ **وَمَنِ اتَبَعَنِي** أي: ومن اتبعني،– أيضًا– فإنما يدعوكم أيضًا على حجة وبرهان؛ إذ من يجيبني؛ فإنما يجيب على بصيرة وبيان وحجة"[٣٠]. وحري بالدعاة اقتفاء أثره– صلى الله عليه وسلم– حتى تؤتي الدعوة ثمارها.

وقال الشنقيطي في شروط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر: "يشترط في الآمر بالمعروف أن يكون له علم، يعلم به أن ما يأمر به معروف، وأن ما ينهى عنه منكر؛ لأنه إن كان جاهلا بذلك فقد يأمر بما ليس بمعروف، وينهى عما

[٣٠] الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (٦/ ٢٩٧).

ليس بمنكر، ولاسيما في هذا الزمن الذي عم فيه الجهل وصار فيه الحق منكرا، والمنكر معروفا"[٣١]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة الدعاة ومسؤوليتهم بالدرجة الأولى.

ومن الصفات والمعالم العلمية والعقلية المهمة لكل داعية من خلال القصة ما يأتي:

أولا: الحرص على طلب العلم:

إن مكانة العلم وأهله معروفة في الدين الإسلامي، فقد حثّ القرآن الكريم على طلب العلم، ورفع من مقام العلم والعلماء في مواضع كثيرة، "فذُكر اسم العلم معرفة ونكرة في عشرات من آيات القرآن الحكيم، وذكرت مشتقاته أضعاف ذلك، وهو يُطلق على علوم الدين والدنيا بأنواعها"[٣٢].

ومن تكريم الله تعالى للعلماء أن استشهدهم على أعظم مشهود- وهو التوحيد- وقرن شهادتهم بشهادته تعالى، وشهادة ملائكته[٣٣]، قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**﴾ [آل عمران: ١٨].

وأخبر تعالى أنه يرفع "الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات، لفضل العلم على سائر العبادات من الجهاد وغيره"[٣٤]. قال تعالى ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١].

وعقد البخاري في صحيحه كتابا للعلم، بدأه بباب ((العلم قبل القول والعمل))[٣٥]، ومما جاء فيه حديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **[من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين]**[٣٦].

---

[٣١] الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٤٦٣/١).

[٣٢] محمد رشيد رضا: تفسير المنار: (٢٠٣/١١).

[٣٣] يُنظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم (التفسير القيّم)، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط١، ١٤١٠هـ، دار ومكتبة الهلال- بيروت، (٢٠٢)، والسعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١٢٤).

[٣٤] الماتريدي: تأويلات أهل السنة، (٥٧٢/٩).

[٣٥] صحيح البخاري: (١/ ٢٤).

[٣٦] صحيح البخاري: كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، حديث رقم (٧١)، (١/ ٢٥).

(ISSN: 2536 - 9555)

وعقد المحدثون كذلك أبوابا للأحاديث التي تحث على طلب العلم والتي تشيد بمكانة العلم وطلابه[٣٧].

والشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية على فضل العلم والتعلم ومكانة العلماء وطلبة العلم كثيرة وهي أكثر من أن تحصى في هذا المبحث[٣٨]. وهي شواهد عامة في الدعاة وغيرهم، وإذ كانت الدعوة "أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء"[٣٩]، لذا كان مما يشترط في المنتصبين لحمل أمانة الدعوة إلى الله تعالى: "جودة المعرفة بأصول الإسلام وفروعه، حتى إذا درّسوه للناس نقلوا إليهم حقائق الرسالة كاملة، فعلم الناس منهم أن الإسلام ليس صلة تربط الناس بربهم في ساحة المسجد فقط حتى إذا خرجوا منه وهنت وتلاشت، كلا.. إنه صلة قائمة توجه المؤمن في شؤون حياته كلها، وتقيم المجتمع والدولة على أنحاء مرسومة لا يمكن الإفلات منها"[٤٠].

ومن الأمور الواجب عليهم العلم بها: "العلم بشرع الله، وبالحلال والحرام، وبما يجوز وما لا يجوز، وبما يسوغ فيه الاجتهاد وما لا يسوغ، وما يحتمل وجهين أو أكثر، وما لا يحتمل. وعلى الداعية بشكل خاص أن يستزيد من العلوم الشرعية المتنوعة والمطلوبة لبناء شخصيته وفقهه لدعوته ليكون على علم وفهم ودراية بما يدعو إليه، فلا يخوض في باطل، ولا يأمر ولا ينهى إلا بحق.

---

[٣٧] يُنظر على سبيل المثال: ابن ماجه، باب فضل من تعلم القرآن، (١/ ٧٩)، وباب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (١/٨٠)، باب ثواب معلم الناس الخير، (١/ ٨٧)، باب الوصاية بطلبة العلم، (١/ ٩٠).

[٣٨] يُنظر: محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، د.ت، دار المعرفة– بيروت، (١/ ٤) وما بعدها، ومحمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، ابن الوزير: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ط٢، ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية– بيروت، (٤١) وما بعدها.

[٣٩] ابن القيم: تفسير القرآن الكريم، (٣٣٢).

[٤٠] محمد الغزالي: مع الله، (١٤٣).

إذًا فالحاجة ملحة إلى العلم الصحيح بأصول الإسلام ومقاصده لا سيما في هذا العصر الذي تشوهت فيه مفاهيم الدين، وانتشرت تصورات مغلوطة عن الدين الإسلامي بين المسلمين وبواسطة المنتسبين إلى الإسلام قبل غيرهم، فبين من يروّج لأفكار علمانية تحصر الدين بعلاقة روحية بين العبد وربه، وتخرجه عن دائرة التشريع وسياسة الدول، وبين من يربط الدين بالعنف والإرهاب إما بالتنظير له أو بممارسته عمليا، وغيرها من التصورات المغلوطة التي تلقى لها منظّرين ومؤيدين يروجونها في عصر الإعلام والتواصل الاجتماعي المفتوح.

لقد باتت المسؤولية كبيرة على الدعاة إلى الله في استدامة طلب العلم، والحرص عليه، للتصدي لتلك التصورات المغلوطة وتصحيحها في وعي الناس وضمائرهم، "وإذا كان سبق العلم لأيّ عمل ضروريًّا، فإنَّه أشدّ ضرورة للداعي إلى الله؛ لأنَّ ما يقوم به من الدين منسوب إلى رب العالمين، فيجب أن يكون الداعي على بصيرة وعلم بما يدعو إليه، وبشرعيّةِ ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فقد العلم المطلوب واللازم له كان جاهلًا بما يريده، ووقع في الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم، فيكون ضرره أكثر من نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف؛ لجهله بما أحلَّه الشرع وأوجبه، وبما منعه وحرَّمه"[٤١].

وفي القصة: كان الغلام يتردد على الراهب لأخذ العلم منه، وهذا يُظهر أهمية طلب العلم قبل التصدر للعمل في الدعوة، فهكذا بدأت مسيرة الغلام الدعوية بطلب العلم، حتى تكون دعوته عن علم وبصيرة لا عن جهل وهوى.

ويمكن أن يُلمح كذلك حرص الغلام على طلب العلم مع ما كان يلقى من الأذى **(فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب)**، فالضرب من أشد أنواع الإيذاء التي يمكن إيقاعها بغلام ما، لكن هذا الإيذاء لم يُثنِ الغلام عن طلب العلم، ولم يترك التردد على الراهب، بل استمر فيه، وشكواه للراهب لم تكن شكوى التلميذ الكسول الذي يبحث عن عذر للتخلص من التحصيل العلمي، بل كانت شكوى طالب العلم الحريص الذي يبحث عن حل للتخلص من أي شيءٍ يعيقه عن طلب العلم، ولهذا قدّم له الراهب حلا

[٤١] المرجع السابق والصفحة نفسها.

(ISSN: 2536 - 9555)

فقال له: **(إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر)**[٤٢].

ثانيا: المرجعية العلمية في حياة الداعية:

يخوض المسلم– والداعية بشكل خاص– غمار الحياة، ويخالط الناس على مختلف توجهاتهم وانتماءاتهم، وقد يواجه الكثير من الأمور والمسائل الشائكة التي قد يعجز عن التصرف فيها، لذا كان لا بد من وجود مرجع يرجع إليه عند اشتباه الأمور واختلاطها عليه، وقد وجه القرآن الكريم المسلمين إلى المرجعية الثابتة في حياتهم، قال تعالى ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾[النساء: ٥٩]، وقال: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ [النساء: ٨٣].

واختلف المفسرون في معنى أولي الأمر، على قولين: **الأول:** أنهم ذوو العلم والرأي منهم، **والثاني:** أمراء السرايا، وأصحاب الرأي الثاني حجتهم أن أولي الأمر هم الذين لهم أمر على الناس، ورُد عليهم بأن العلماء إذا كانوا عالمين بأوامر الله عز وجل ونواهيه، وكان يجب على غيرهم قبول قولهم لم يبعد أن يُسموا أولي الأمر من هذا الوجه[٤٣]. وقال صاحب تفسير المنار: "وإنما المراد في أولي الأمر الذين تُرد إليهم مسائل الأمن والخوف وما في معناه من الأمور العامة: أهل الرأي والمكانة في الأمة وهم العلماء بمصالحها وطرق حفظها والمقبولة آراؤهم عند عامتها.."[٤٤].

وقد يدخل في معنى أولي الأمر أيضا– كما يرى المفكر الإسلامي عبد الرحمن الميداني–: "الإداريون القادرون على استنباط أفضل الأعمال والنظم في

---

[٤٢] قال النووي في شرح الحديث: "وفيه جواز الكذب في الحرب ونحوها وفي إنقاذ النفس من الهلاك سواء نفسه أو نفس غيره ممن له حرمة". يحيى بن شرف النووي، محيي الدين: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، دار التراث العربي– بيروت، (١٣٠/١٨).

[٤٣] يُنظر: فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، (١٥٣/١٠)، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (٢٩١/٥).

[٤٤] محمد رشيد رضا: تفسير المنار، (٤/ ١٦٧).

الشئون الإدارية، والمهرة في السياسة الشرعية القادرون على استنباط أسدّ الخطط وأحكمها في الشؤون السياسية السلمية والحربية، والقادة العسكريون المخططون القادرون على استنباط أنجح الخطط في شؤون القتال والحرب"[٤٥].

ويُوضح رأيه بأن "في كل مجال يبرز فيه متخصصون ذوو مهارات أو قدرات فطرية أو مكتسبة، فإن الإسلام يوصي بأن يرد السواد الأعظم من الناس كل أمر إلى ذوي الاختصاص فيه، حتى الأمور التي يعتمد العلم بها على الحفظ والذاكرة فإن الإسلام يوصي بالرجوع فيها إلى أهل الذكر، وهم حفاظ النصوص، ورواة التاريخ، العالمون بهذه الأمور"[٤٦].

وفي هذا العصر الذي انفتحت فيه الحياة- بشكل غير مسبوق على مر التاريخ- واستجدّت فيه مسائل غير محصورة قد تُعضِل الداعية والمسلم عموما، ويعجز عن التعامل معها بالشكل الأمثل، ومع تعدد المذاهب الفكرية والعلمية، صار من الضروري إيجاد مرجعية عليا يرجع إليها المسلمون فيما أشكل عليهم، عن طريق إقامة مجمّعات إسلامية عالمية تضم المبرزين في مجالات الفقه والفكر والسياسة الشرعية، والاجتماع، تكون مرجعا للمسلمين في بلدان العالم جميعا.

والعمل الدعوي أشد حاجة لمثل تلك المرجعيات، لئلا يعجز الدعاة عن التعامل مع المستجدات فتتحول إلى عوائق تحول بينهم وبين الاستمرارية في الدعوة من جهة، ومن جهة أخرى حتى لا ينفرد الدعاة كلٌ برأيه- وهذا الرأي قد يكون قاصرا وغير مكتمل النضوج- فيخل بالانسجام في العمل الدعوي ويسبب التنافر.

وفي القصة: اتخذ الغلامُ الراهبَ مرجعا له فيما يشكل عليه من الأمور، يمكن ملاحظة ذلك بوضوح في موقفين:

الأول: شكواه إليه ما كان يعانيه من ضرب الساحر وأهله له عند تأخره عنهم.

والثاني: رجوعه إليه في أمر الدابة.

---

[٤٥] عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، ط١، ١٤٢٨هـ- ١٩٩٨م، دار القلم- دمشق، (٢٣٩).

[٤٦] المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(ISSN: 2536 - 9555)

فكان الراهب يُشكِّل مرجعية للغلام، يرجع إليها فيما يُشكِل عليه ويُمثل عائقا أمامه كالضرب، وفيما يُستجد من الأحداث كأمر الدابة.

ثالثا: التحذير من الازدواجية في التلقي:

في هذا العصر الذي انفتح فيه المسلمون على العالم، وانفتحت وسائل التواصل حتى صار العالم كقرية صغيرة، تعددت مصادر التلقي وتشعبت بشكل لم يسبق له مثيل، فلم يسبق أن مرّ على العالم في عصر من العصور أن يتمكن الفرد وهو في منزله من تلقي كافة الثقافات الدينية واللادينية على حد سواء، حتى أصبح التحدي كبيرا أمام المسلمين في ضبط مصادر التلقي لديهم، ولدى الناشئة على وجه أخص، حتى لا يختلط الحابل بالنابل، وتختل معايير القيم وموازينها.

وليس المطلوب أن ينغلق المسلم ولا يتعرف على الثقافات والديانات الأخرى، والمذاهب المنتسبة للإسلام، فإنه من الصعوبة بمكان تأَتي هذا الأمر في عصر التواصل المفتوح، كما أن المسلم بحاجة إلى التعرف على ثقافات الآخرين لتحقيق اليقين بدينه من جهة، وليتمكن من التعايش مع الآخر وعمارة الأرض من جهة أخرى، ولكن خطورة الأمر تكمن في جانبين:

الأول: عندما لا تتوفر لدى المسلم قاعدة متينة من الاعتقاد الصحيح والقيم والمبادئ الأصيلة، فيكون عرضة للشبهات والشهوات.

الثاني: في إطار الاتجاهات الفكرية المنتسبة للإسلام يجب أن يحسم الفرد أمره بالنسبة للاتجاهات المتباينة إلى حد التناقض، وألا يستمر في التلقي المزدوج من عدة تيارات وتوجهات متناقضة، لئلا تختلط عليه الأمور فيعجز عن تمييز الحق من الباطل والخير من الشر.

وفي القصة: كان للغلام مصدران للتلقي هما الساحر والراهب، "ولم يكن هذا سهلا على نفس الغلام، فقد كان يتعلم السحر من الساحر والدين من الراهب، بما بينهما من تناقض، فالدين حقائق واضحة وفكر منظم، والسحر ضلالات غامضة وكذب ملفق، والدين يربي العقول والسحر يغتالها، والدين يعالج الواقع والسحر يضلل عنه، والدين يبني الحياة، والسحر يهدمها، ولهذا كان صعبا على الغلام أن يستمر في تلقيه الدين والسحر باطمئنان، ولكنه كان يجلس إلى الراهب راغبا، وإلى الساحر كارها"[٤٧].

[٤٧] محمود العشري: قصة أصحاب الأخدود (٢).

فالغلام لم يكن مطمئنا لهذه الازدواجية في التلقي، بل كان قلقا بشأنها، يفكر في الحسم والاختيار، ولقد كان من الممكن أن يستمر الغلام في تلقيه للدين والسحر دون قلق، إذا كان يسمع للراهب والساحر دون شعور أو تفكير، لأن السماع حينئذ سيكون مجردا عن التأثر، وسيصبح الدين والسحر عند الغلام مجرد فكر وكلام لا أثر له في واقعه وسلوكه، ولكن القلق الذي نشأ في نفس الغلام كان بسبب تأثره العميق بكلام الراهب وإدراكه السليم لمعنى الدين، وهنا تتدخل العناية الإلهية، فعندما يختلط الحقُّ بالباطل يُسبِّبُ الله تعالى الأسباب التي تجعل الحقَّ واضحًا جليًّا كوضوح الشمس في وسط النهار، فالغلام كان يتعلَّم التوحيد في نفس الوقت الذي كان يتعلَّم فيه السحر، فامْتَلأ قلبه وعقله بالحقِّ والباطل في آن واحدٍ، وكان لا بد من التنقية والتصفية.

وهنا تتدخَّل العناية الإلهيَّة، فبعث الله سبحانه وتعالى تلك الدابة؛ لتسدَّ الطريق أمام الناس، في الوقت الذي يمرُّ فيه الغلام في هذا المكان؛ ليرى المشهد أمام عينيه، فوجَدها فرصة ليَعلم أيَّ الأمرين أفضل: أمر الراهب أو أمر الساحر؟ فأخَذ الغلام حجرًا صغيرًا- لأنَّ يده لا تستطيع حَمْل الحجر الكبير- وقال: **(اللهمَّ إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر، فاقْتُل هذه الدابة؛ حتى يمضي الناس، فقَتَلها ومضى الناس)**[٤٨].

وهكذا حسم الغلام أمره بشكل يقيني بأن الحق لدى الراهب.

رابعا: **فقه الداعية بالسنن الإلهية**:

من الأمور المهمة في توجيه الدعوة أن يكون الداعية على علم ودراية بسنن الله تعالى في الأنفس والمجتمعات، كسنن السقوط والنهوض، وسنة التدرج، وسنة الابتلاء، وغيرها من السنن التي تحكم حياة الأمم والمجتمعات، والتي يحصل الفقه بها بالنظر والتأمل في القرآن الكريم وما حواه من قصص السابقين، وحين يكون الداعية على فقه بالسنن فإنه يتمكن من توجيه الدعوة وفقا لتلك السنن، كما يُمثل فقهه بها عاملا مهما للتنبؤ بالوقائع قبل حدوثها، وإعداد الأتباع للاستعداد لها ومواجهتها، كالتنبؤ بحصول الابتلاء للدعاة في البيئات الجاهلية الكافرة، أو البيئات التي تدّعي الإسلام لكنها لا تطبقه منهجا وسلوكا.

[٤٨] يُنظر: رفاعي سرور، أصحاب الأخدود، (١١)، ومحمود العشري، قصة أصحاب الأخدود(٢).

(ISSN: 2536 - 9555)

وقد كان النبي– صلى الله عليه وسلم– أفقه الخلق بالسنن الإلهية، من ذلك فقهه بسنة الابتلاء، فقد كان "يوطّن نفوس المؤمنين على الاستعداد الدائم للبلاء الذي قد يصيبهم، ويخبرهم أن البلاء في الدنيا سنة من سنن الله سبحانه، وأنه قد يكون على أولياء الله سبحانه أشد منه على غيرهم، من ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص: قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: **[الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه]**"[٤٩].

وفي القصة: كان الراهب على درجة من الفقه بالسنن الإلهية جعلته يحذّر الغلام– بعد أن قتل الدابة واستقر أمر الدعوة في نفسه– من الابتلاء، فقال له: **(وإنك ستبتلى)**، فلم يكن قوله هذا رجما بالغيب أو تخرصا، ولكن معرفة بسنن الله في خلقه، وعلما بما حدث للأنبياء والصالحين من قبل[٥٠]، ثم وجهه إلى **(فإن ابتليت فلا تدل علي)**.

وفي إخباره له بأنه سيبتلى تهيئة له لتوقع الابتلاء والاستعداد لمواجهته، وحين وقع الابتلاء فعلا كان الغلام على قدر عال من الشجاعة والصبر والثبات ما كانت لتتأتى له لو فاجأه الابتلاء دون استعداد مسبق له. كما أن في توجيه الراهب للغلام بأن لا يدل عليه إن هو ابتلي نوع من إعداد الخطط للاستعداد للابتلاء، ودلالة على دقة فقه الراهب إذ كان يُدرك أن الطاغية سيبحث ابتداء عن منبع الدعوة لاجتثاثها بالبطش به، فكان الاستعداد لهذا البلاء بتوجيه الغلام بأن لا يدل عليه. وفيه عدم التعرض للابتلاء وسيتم الحديث عن كيفية التعامل مع سنة الابتلاء بالتفصيل في الفصل التالي.

خامسا: **فقه الداعية بحقيقة الدعوة ومراحلها**:

من الصفات العلمية والعقلية التي لا بد من توافرها في الداعية أن يكون ذا فقه في حقيقة الدعوة وأساليبها ووسائلها، ومراحل تدرجها، ومن مؤشرات هذا الفقه من خلال القصة:

---

[٤٩] عبد الوهاب الديلمي: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، (٢/ ٨٠٤)، والحديث رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم (٢٣٩٨)، وقال عنه الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن صحيح، (٤/ ١٧٩)، وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني رحمه الله، رقم (١٤٣)، (١/٢٧٣، ٢٧٤).

[٥٠] يُنظر: سعيد عبد العظيم، قصص القرآن عظات وعبر، (٤٤٨).

١/ إدراك حقيقة المعركة بين الدعاة والطغاة:

إن الطغاة يعادون الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان، وهم غالبا لا يصرحون بالسبب الحقيقي وراء هذا العداء، بل يتسترون خلف دعاوي مزيفة لصرف الناس عن حقيقة المعركة القائمة بينهم وبين الدعاة، كما قال فرعون: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ [غافر: ٢٦]، ولا بد أن لا تنطلي هذه الحجة على الدعاة، وأن يكون لديهم الوعي الكامل لطبيعة هذه المعركة بينهم وبين الطغاة، وأنها في حقيقتها لم تقم إلا بسبب إيمانهم بالله عز وجل ودعوتهم الناس إلى هذا الإيمان.

هذا الإدراك ضروري لكل من يتصدى للدعوة إلى ربوبية الله وحده، فلا يمكن أن يمضي المؤمنون في طريق الدعوة إلى رب العالمين على ما ينتظرهم فيها من التعذيب والتنكيل إلا بمثل هذا اليقين بشقيه: أنهم هم المؤمنون وأن أعداءهم هم الكافرون، وأنهم إنما يحاربونهم على الدين، ولا ينقمون منهم إلا الدين. قال تعالي:﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [البروج: ٨].

وفي القصة: يتجلى هذا الإدراك لحقيقة المعركة في الصبر والثبات الذَين ظهرا من الراهب والغلام وكذا الجليس عند مواجهة الملك، وإيثارهم الموت على التخلي عن دينهم، وما كان يمكن لهم مواجهة هذا البطش والتنكيل حتى الموت إلا بما حملوه من اليقين بأنهم على الحق وأن الملك على الباطل، وأن سبب عدائه وبطشه بهم ليس إلا إيمانهم بالله عز وجل وكفرهم بربوبية الملك.

٢/ البعد عن الشخصنة في الدعوة:

إن الدعوة أسمى وأعظم من أن تُحصر في شخص أو حزب أو جماعة، فهي مضافة إلى الله عز وجل، وحري بكل داعية أن تكون دعوته خالصة لله عز وجل، مجردة عن الشخصنة، فيربط المدعوين بشكل مباشر بالدعوة وحدها، فإن الأشخاص والجماعات زائلة، وتبقى الدعوة إلى الله وحده، فإن رُبطت الدعوة بشيء غير الله فإنها ستزول وتفنى بفنائه، فالدعوة إنما هي دعوة إلى سبيل الله. لا لشخص الداعي ولا لقومه ولا لصالح أي جهة أخرى مهما كانت.

وقد أكد القرآن الكريم على هذا المعنى العظيم، بقوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤].

(ISSN: 2536 - 9555)

في القصة: تتجلى مظاهر البعد عن الشخصنة في الدعوة في عدة مواقف وعبارات منها:

أ/ قول الراهب للغلام: **(أي بني إنك اليوم أفضل مني)**، ففي تجرد الراهب عن حظوظ النفس دليل قوي على تنزهه عن شخصنة الدعوة، وعن جعل نفسه محورا لها، بل إنه يربط الغلام بالدعوة بشكل مباشر، ولا يستنكف عن الاعتراف بالأفضلية لتلميذه، فهمّه منصبٌّ على الدعوة والحفاظ على استمراريتها ورفعتها، فلم يُذكِّر تلميذه بفضله عليه وأنه هو الذي قام بتعليمه وإرشاده، لأنه إنما كان يؤدي واجبه تجاه الدعوة التي هي أغلى من حامليها ومن أتباعها، فهي باقية وهم زائلون.

ب/ والمعنى ذاته حققه الراهب في إقدامه على المؤت في سبيل الله وعدم تنازله عن عقيدته، فقدم درسا رائعا للغلام ولبقية الأتباع بأن الدعوة هي الأساس، وأنها لن تنتهي بموته، فما هو إلى شخص في قافلة الدعوة المستمرة بالسير منذ فجر التاريخ ولن تتوقف القافلة بوفاته.

ج/ اختيار الغلام أن يُقتل أمام الناس كان تتويجا للدروس التي تعلمها من الراهب، كما كان درسا لبقية الأتباع بأن لا يتعلقوا بشخص الغلام، ولا يحصروا الدعوة فيه، مهما بلغت درجة محبته في قلوبهم نتيجة ما كان يقدمه لهم من المنافع وأعظمها حمله هدى الله إليهم والذي به فوزهم ونجاتهم من النيران، فالدعوة أغلى من الراهب ومن الغلام.

المبحث الخامس
صفات الداعية الذاتية المستنبطة من قصة الغلام المؤمن

أولا: الحكمة.

الحكمة في اللغة: مرجعها إلى العدل والعلم والحلم. ويقال: أحكمته التجارب إذا كان حكيما، والحَكيمُ: العالم، وصاحب الحكمة. والحَكيم: المتقِن للأمور[٥١].

وفي لسان العرب: الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم،

[٥١] يُنظر: الخليل بن أحمد: معجم العين، (٣/ ٦٦)، والجوهري، الصحاح، (٥/ ١٩٠١).

والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم(٥٢).

وفي التعريفات: "الحكمة: علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي، والحكمة أيضًا: هي هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الغريزة التي هي إفراط هذه القوة، والبلادة التي هي تفريطها.

وقيل: الحكمة يستفاد منها ما هو الحق في نفس الأمر بحسب طاقة الإنسان، وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل: الحكمة هي الكلام المقول المصون عن الحشو"(٥٣).

وجماع معنى الحكمة أنها: صواب الأمر وسداده ووضع الشَّيء في موضعه(٥٤).

والحكمة من النعم العظيمة التي يختص الله تعالى بها بعض عباده، قال تعالى:﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقد اختلف المفسرون في تأويل معنى الحكمة هنا، فقيل: القرآن والفقه به، وقيل العلم بالدين، وقيل: الفهم، وقيل الخشية، وقيل: النبوة، وقيل: الإصابة في القول والفعل واختاره الطبري(٥٥)، ولعله الأصوب لعمومه ولاتفاقه مع المدلول اللغوي للكلمة.

وقال الطاهر بن عاشور في تأويل الآية: "والحكمة إتقان العلم وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم،...، ومن يشاء الله تعالى إيتاءه الحكمة هو الذي يخلقه مستعدا إلى ذلك، من سلامة عقله واعتدال قواه، حتى يكون قابلا لفهم الحقائق منقادا إلى الحق إذا لاح له، لا يصده عن ذلك هوى ولا عصبية ولا مكابرة ولا أنفة، ثم ييسر له أسباب ذلك من حضور الدعاة وسلامة البقعة من العتاة، فإذا

---

(٥٢) ابن منظور: لسان العرب، (١٢/ ١٤٠).

(٥٣) الجرجاني: التعريفات، (٩١).

(٥٤) يُنظر: أحمد مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، (١/ ٥٤٠).

(٥٥) يُنظر: الطبري، جامع البيان، (٥/ ٥٧٦-٥٧٩).

(ISSN: 2536 - 9555)

انضم إلى ذلك توجهه إلى الله بأن يزيد أسبابه تيسيرا ويمنع عنه ما يحجب الفهم فقد كمل له التيسير "[٥٦].

والحكمة من أهم الصفات التي ينبغي أن تتوفر في الداعية، فإن الدعاة يعيشون في مجتمعات تعيش واقعًا شاردًا عن الطريق المستقيم والمنهج الصحيح والهدي الحكيم، كما أنهم بحاجة دائمة إلى اتخاذ قرارات صعبة وإلى إجراء موازنات دقيقة، وهذا كله يحتاج إلى حكمة جزء كبيرٌ منها مبنيٌ على المعرفة، حيث لا بد من حصوله على المعرفة المناسبة ليتمكن وفق ذلك كله من حسن اختيار الفعل والتصرف والقرار في المواقف والأحداث التي تواجهه.

وإذا كان جزء من الحكمة وهبي وجزء منها كسبي، فعلى الداعية أن يجتهد في اكتساب الحكمة بشطرها الكسبي بسلوك الوسائل المعينة على ذلك، وعليه أن يكون حكيما في أسلوب دعوته، يختار لمن يدعوهم الأسلوب المناسب وفق ما يستدعيه الحال والواقع، فلا تكون أساليبه عشوائية ارتجالية إنما واعية حكيمة.

قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥]. أرشد تعالى إلى أسلوب الحكمة في الدعوة، وهو ما سيتم الحديث عنه في المبحث التالي، مع الإشارة إلى أبرز الشواهد في القصة، فحكمة الداعية تبرز من خلال استعماله أسلوب الحكمة في الدعوة.

ثانيا: **الشجاعة**.

تعد الشجاعة خلقا أصيلا في الداعية إلى الله، وشيمة لا تنفك عنه وهو يتقلب بين الناس، فهو يحمل رسالة الإيمان التي تواجه الشر بكل مصادره وأشكاله، وطبيعة الشر عنف المصدر، ووحدة المسير، ومقتضى ذلك أن يكون الإيمان قادرا على الظهور قادرا على الحركة، شجاعا في تصرفاته جميعا، وهذا كله لن يتأتى إلا بشجاعة أتباعه والداعين إليه[٥٧].

والشجاعة تعني أشياء كثيرة، منها:

١/ التماسك عند مواجهة الأخطار وفي الظروف الأليمة، كما فعل– النبي صلى الله عليه وسلم– في حنين، عندما كرّ المشركون عليهم من كل جانب، وفرّ

[٥٦] التحرير والتنوير: (٣/ ٦١).

[٥٧] يُنظر: محمد الغزالي: مع الله، (١٦٨).

أكثر من كان في جيش المسلمين من أرض المعركة، بينما انحاز النبي- صلى الله عليه وسلام- إلى ذات اليمين، وأخذ يدعو المسلمين إلى القتال والثبات، ولم يثبت معه إلا نفر قليل من هول ما أصابهم[٥٨].

٢/ مواجهة الظلم ومحاصرة الشر بكل وسيلة مشروعة وممكنة.

٣/ التغلب على الصعوبات والأخطار التي تتجاوز المعتاد على نحو ما واجه المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الحصار في الشعب[٥٩].

٤/ احتمال أشد الآلام بصبر وثبات، على نحو ما فعله كثير من أبطال الدعوة في العصر الحديث، حيث قضوا نحبهم في أسوأ الظروف، حتى لا يقولوا كلمة باطل أو يتنازلوا عن مبدأ يؤمنون به.

٥/ الجود والاستعداد للبذل والتضحية في سبيل نجاح الدعوة وتبليغ كلمة الله، فالكريم لا يكون إلا شجاعا، والشجاع لا يكون إلا كريما، والتطلع إلى جلائل الأعمال والانجازات الكثيرة، وتحمل تكاليف تحقيقها.

إن الأمة جميعها مكلفة أن تكون شجاعة في حماية الدين، ورد العادين على حدوده، فحق الله لا بد أن يسود وهداه لا بد أن يعلو، ومنهجه لا بد أن تتضح معالمه وترسو دعائمه، والمنتسبون إلى دينه ما ينبغي أن تخفت أصواتهم، ولا أن يغلبوا على تعاليمهم، فإذا لم تقم الأمة بواجبها في حماية الدين فقد تخلت أمام الله عن رسالتها، واستحقت أن تحرم من حفظه ورعايته ونصره، كما رُوي عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **[إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك ظالم فقد تُودِّع منهم]**[٦٠].

وإن كان هذا حق الإسلام على أمته عامة، فإن حقه على الدعاة المنتصبين لحمايته المضطلعين برسالته أثقل وأجل، فعلى أولئك الدعاة أن يضاعفوا يقظتهم وتضحياتهم، وأن يكرسوا أوقاتهم وأفكارهم لمعرفة حاجات الحق وإجابتها، وتفقّد

---

[٥٨] يُنظر: عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، (٢/ ٤٤٣).

[٥٩] يُنظر: المصدر السابق، (٣٥٠/١) وما بعدها.

[٦٠] مسند الامام احمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم (٦٥٢١)، (٧٢/١١، ٧٣)، والمعجم لأوسط للطبراني، باب: من اسمه محمود، حديث رقم (٧٨٢٥)، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في سلسة الأحاديث الضعيفة، رقم (١٢٦٤)، (٣/ ٤٢١).

(ISSN: 2536 - 9555)

مواطن الضعف في أسواره وحمايتها، وتحسس مظان الهجوم عليه لإحباط كيد وإرهاب كل خصم. فالدعاة هم جيش الدفاع عن الإيمان المكلفون بحراسة الإسلام، إذا لم يكن الداعية المسلم شجاعا، مطيقا لأعباء رسالته، جريئا على المبطلين، مغوارا في ساحتهم، فخير له أن ينسحب سريعا من هذا المجال، وألا يفضح الإسلام بتكلف ما لا يحسن من شؤونه(٦١).

وشجاعة المؤمن والداعية خصوصا ثمرة إيمانه بالله، وقوة اعتقاده وتمكنه في قلبه، فهو يوقن بأن الضر والنفع، والحياة والموت، والعطاء والمنع بيد الله تعالى، فإيمانه بعظمة الله تعالى يجعل كل قوة وكل عظمة لسواه هينة في نظره لا تستحق الخوف والمهابة، وإيمانه بالقدر يجعله لا يرجو شيئا إلا من الله، ولا يخاف سواه، وإيمانه باليوم الآخر يجعله مؤثرا الجنة ونعيمها على السلامة في الدنيا والحصول على ملذاتها مهما عظمت، "ذلك أن الداعي إلى الله– إذا صدقت صلته به– لم يبالِ أن يفتدي الحق بعمره؛ مفضلا أن يُقتل شهيدا على أن يُدفن الحق، ولا يجد من ينصفه، ويشرفه ويعلي رايته"(٦٢).

وفي القصة: اتصف المؤمنون جميعا بالشجاعة والصلابة في الحق، وإن كانت الشجاعة قد برزت بشكل أكبر في الغلام، فهو على صغر سنه كان شجاعا جريئا في الحق، متحررا من قيود الرغبة والرهبة، فلم يُثنه عن الحق رغبة في القرب من سلطان ولا رهبة من بطشه، فواجه الملك بإيمانه، وتصدى له، وكان متماسكا قويا ثابتا على الحق، لم يتزحزح عنه قيد أنملة، رغم ما واجهه من أساليب الملك المتنوعة، بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة أخرى، وصلت شجاعته إلى الحد الذي يعود به إلى الملك بعد محاولته قتله مرتين متتاليتين، ثم دلّ هو الملك على الطريقة التي يتمكن بها من قتله.

ولم تكن الشجاعة سمة خاصة بالغلام فقط بل إن جميع المؤمنين في القصة كانوا شجعانا في مواجهة الموت، بأبشع الطرق التي قد تخطر على بال بشر، فآثروا الحياة الآخرة على الحياة الدنيا بعزم وثبات.

---

(٦١) محمد الغزالي: مع الله، (١٦٨، ١٦٩) بتصرف.

(٦٢) المرجع السابق، (١٧٤).

الخاتمة

في الختام يمكن عرض أبرز نتائج البحث كما يأتي:

١. يشكل هذا البحث إسهاما معرفيا متواضعا في مجال الدراسات الإسلامية الدعوية لعله يسد فراغا في المكتبة الإسلامية، حيث يُلاحظ فيها قلة الدراسات الدعوية التي تتناول صفات الداعية وأخلاقه من القصص الصحيحة بالتحليل والاستنباط الشامل لمضامينها.

٢. الأساس الذي عليه هذه الدراسة هو رواية القصة من السنة النبوية، حيث إن القرآن الكريم لم يأتِ بتفاصيل القصة كما في السنة النبوية، وقد جاءت القصة في كتب الحديث بروايات وألفاظ متقاربة، تكاد تتفق.

٣. من صفات الداعية المتعلقة بعلاقته بخالقه من خلال قصة الغلام المؤمن؛ الإخلاص والتجرد لله تعالى.

٤. ومن صفات الداعية المتعلقة بعلاقته بخالقه من خلال قصة الغلام المؤمن؛ الاتصال الوثيق بالله تعالى، والإيمان العميق بما يدعو إليه.

٥. من صفات الداعية المتعلقة بتعامله مع المدعوين من خلال قصة الغلام المؤمن؛ الإيجابية وحب الآخرين.

٦. ومن صفات الداعية المتعلقة بتعامله مع المدعوين من خلال قصة الغلام المؤمن؛ الشعور بالمسؤولية تجاه المدعوين.

٧. ومن الصفات والمعالم العلمية والعقلية المهمة لكل داعية من خلال القصة؛ الحرص على طلب العلم.

٨. ومن الصفات والمعالم العلمية والعقلية المهمة لكل داعية من خلال القصة؛ الحرص على المرجعية العلمية في حياة الداعية.

٩. ومن الصفات والمعالم العلمية والعقلية المهمة لكل داعية من خلال القصة؛ التحذير من الازدواجية في التلقي.

(ISSN: 2536 - 9555)

١٠.ومن الصفات والمعالم العلمية والعقلية المهمة لكل داعية من خلال القصة؛ فقه الداعية بالسنن الإلهية.

١١.من الصفات العلمية والعقلية التي لا بد من توافرها في الداعية أن يكون ذا فقه في حقيقة الدعوة وأساليبها ووسائلها، ومراحل تدرجها.

١٢.من صفات الداعية الذاتية من خلال قصة الغلام المؤمن؛ الحكمة والشجاعة.

التوصيات:

١. يوصي الباحث الدعاة والمؤسسات الدعوية والتربوية؛ بالرجوع إلى القصص القرآني والقصص النبوي لاستلهام صفات الدعاة وأخلاقهم من خلالها فهي ثرية بذلك.

٢. يوصي الباحث الباحثين وأساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا في الجامعات، الرجوع إلى القصص القرآني والنبوي، واستخرج ما فيها من مضامين ثرية ومتنوعة في مجمل تخصص الدراسات الإسلامية.

٣. يوصي الباحث الأقسام الدراسية في الجامعات بتوجيه الطلاب نحو مشاريع بحثية تُعنى باستنباطات متنوعة من القصص القرآني والنبوي.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم بن موسى الشاطبي: **الموافقات**، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط٧، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، دار ابن عفان.
- ابن ماجه، أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.
- أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، جمال الدين، **صفة الصفوة**، ت: أحمد بن علي، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م دار الحديث- القاهرة.
- أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، **المعجم الكبير**، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، د.ت.
- أبو بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، **شعب الإيمان**، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، مكتبة الرشد- الرياض.
- أبو بكر، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، **المصنف**، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، ١٤٠٣هـ، المجلس العلمي- الهند.
- أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، **السنن الكبرى**، ت: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، ١٤٢١هـ- ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة- بيروت.
- أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، **السنن الكبرى**، ت: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، ١٤٢١هـ- ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة- بيروت.
- أبو عيسى، الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، **سنن الترمذي**، ت: بشار عواد معروف، ١٩٩٨م، دار الغرب الإسلامي-بيروت.
- أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: **مسند الإمام أحمد**، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- أحمد بن نافع الورعي: **الحكمة والموعظة الحسنة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى**، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، دار الأندلس الخضراء- جدة.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١، ١٤٢٩- ٢٠٠٨م، عالم الكتب.
- إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، دار العلم للملايين- بيروت.

(ISSN: 2536 - 9555)

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.
- البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، **صحيح ابن حبان**، ت: شعيب الأرنؤوط، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، دار الرسالة.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، **التعريفات**، ت: عبد السلام محمد هارون، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الكتب العلمية- بيروت.
- الد يلمي، عبد الوهاب بن لطف، **معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم**، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م مكتبة الرشاد- صنعاء.
- رضا، محمد رشيد علي، **تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)**، ط١، ١٩٩٠م، لهيئة العامة المصرية للكتاب.
- رفاعي سرور، **أصحاب الأخدود**. ط٥، ١٩٦٥م، موقع، goodreaders.com.
- سعيد عبد العظيم، **قصص القرآن عظات وعبر**، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار العقيدة للتراث- الاسكندرية، القاهرة.
- سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، أبو داود السجستاني، **سنن أبي داوود**، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، المكتبة العصرية- صيدا، بيروت، د.ت.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ت: أحمد محمد شاكر، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.
- عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني: **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم**، ط١، ١٤٢٨هـ- ١٩٩٨م، دار القلم- دمشق.
- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.
- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، **السيرة النبوية**، مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر.

- عبد الوهاب خلاف: **علم أصول الفقه**، ط٨، دار القلم- دمشق، (١٢١).
- فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط٣، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **معجم العين**، ت: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط ١، ١٩٨٥م، دار ومكتبة الهلال- بغداد.
- المبارك بن محمد بن محمد الجزري، مجد الدين، ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ت: طاهر أحمد الزاوي ومجمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، المكتبة العلمية- بيروت.
- محمد ابن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي المعروف بابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ت: محمد عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٣، دار الكتب العلمية- بيروت.
- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان.
- محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير**، ط١، ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر.
- محمد الغزالي، مع الله- دراسات في الدعوة والدعاة، ط٦، ٢٠٠٥، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، ابن الوزير: **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**، ط٢، ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية- بيروت.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، **تفسير القرآن الكريم (التفسير القيّم)**، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط١، ١٤١٠هـ، دار ومكتبة الهلال- بيروت.
- محمد بن أحمد بن أبي بكر، شمس الدين القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطيفش، ط٢، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م دار الكتاب العربي- بيروت.
- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، **سير أعلام النبلاء**، ت: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة.
- محمد بن عبد الله الضبي، أبو عبد الله الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، ت" مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية- بيروت.

(ISSN: 2536 - 9555)

- محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، أبو نعيم، **معرفة الصحابة**، ت: عادل بن يوسف العرازي، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار الوطن- الرياض.
- محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، د.ت، دار المعرفة-بيروت.
- محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ت: د. مجدي با سلوم، ط١، دار احياء التراث العربي- بيروت، د.ت.
- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)**، ط١، ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- محمد ناصر الدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها**، ط ١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- محمد ناصر الدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء على الأمة**، ط ١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- محمود العشري: **قصة أصحاب الأخدود (٣)** من سلسلة مقالات على شبكة الألوكة، ٢٠١١/١١/٣٠م، www.alukah.net .
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)**، ت: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي- بيروت. د.ت.
- الموسوعة الحرة ويكبيديا، https://ar.wikipedia.org
- يحيى بن شرف النووي، محيي الدين: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٢، دار التراث العربي- بيروت.